هادم اللذات

الحمـد للـه رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على رسـوله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فـإن القلـوب تقسـو وتغفـل، ولـذلك لا بـد من تعاهـدها بالوعـظ والتذكير، والله عز وجل قد جعل أموراً كثيرة لنتعظ ولنتـذكر، منهـا المعنوية ومنها الحسـية، ومن هـذه الأمـور؛ هـادم اللـذات، ومفـرق الجماعات، إنه الموت!!.

فهو حق لا ريب فيه، ولا أحد من الناس ينكره، وكيف ينكره؟!**، وهـو يرى مصارع قومه، وأفراد أسرته، ويسمع ويقرأ ما يحـل بغـيره من الويلات والنكبـات، يقـول جـل ذكـره**: {**كُـلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَـةُ الْمَـوْتِ**}[**آل عمـران**: 185]**، ويقــول**: {**كُـلُّ مَنْ عَلَيْهَـا فَـانٍ*** **وَيَبْقَى وَجْـهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**}[**الرحمن**: 26-27]. **ولكن وللأسف الشديد، نرى كثـيراً من إخواننا من قد ينسى أو يتناسى هذه الحقيقة، وكـأنَّ المـوت لا يعنيه، أو أنه مخلد لا يموت، ولم يسـأل نفسـه أين آبـاؤه وأجـداده؟ وأين بعض أبنائه وأزواجه، وأين أقاربه وجيرانـه وخلانـه؟**! **بـل وأين خير من وطئ الثرى، محمد عليـه الصـلاة والسـلام؟ ألم يقـرأ قـول الملك العلاَّم، وهو ينعي حبيبه محمـد عليـه الصـلاة والسـلام بقوله**: {**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**}[**الزمر**: 30].

أخي الكريم! **إن من طبيعة الموت أنه يـأتي بغتـة، فهـو لا يمـيز بين صغير وكبير، أو صحيح وسقيم، أو غني وفقير، أو رئيس ومرؤوس، أو عالم وجاهل، أو بر وفاجر، وإنما كما قال رب العزة والجلال**: {**إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَـوْ كُنتُمْ تَعْلَمُـونَ**}[**نـوح**: 4]**، قـال القرطـبي رحمه الله**: "**وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سـن معلـوم، ولا زمن معلوم، ولا مـرض معلـوم، وذلـك ليكـون المـرء على أهبـة من ذلك، مستعداً لذلك**"[1]. **وقـال العلامـة الواعـظ أبـو إسـحاق الألبـيري مذكراً ابنه أبا بكر بهذه الحقيقة:**

ولا تقل الصبا فيه امتهال *** **وفكر كم صغير قد دفنتا**

ولذلك فقـد حثَّ النـبيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم على ذكـر المـوت، والإكثار منه؛ فعن عمر بن الخطاب قال: **قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم**: ((**أكثروا من ذكر هادم اللذات**)) **قلنا**: **يـا رسـول الله**! **ومـا هادم اللذات؟ قال**: ((**الموت**))[2]. **وعن أنس عن النبي صلى الله عليـه وسلم أنه مرَّ بقوم يضحكون ويمزحون، فقـال**: ((**أكـثروا ذكـر هـاذم اللـذات**))[3]. **وقـال الغـزالي**: **أي نغصـوا بـذكره لـذاتكم حـتى ينقطـع ركونكم إليها فتقبلوا على الله**. **وقال التميمي**: **شـيئان قطعـا عـني لذة النوم ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل**. **وقال الإمام**

القرطبي رحمه الله: "قال علماؤنا: قوله عليه السلام: ((أكثروا ذكر هاذم اللذات)) كلام مختصر وجيز، وقد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها في المستقبل، وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة، تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففي قوله عليه الصلاة والسلام: ((أكثروا ذكر هاذم اللذات))، مع قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ}[آل عمران: 185]، ما يكفي السامع له، ويشغل الناظر فيه"[4].
وقال الشاعر:

لا تأمن الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ *** ولو تمتعتَ بالحُجْابِ والحرسِ

واعلمْ بأن سهامَ الموتِ نافذةٌ *** في كل مدرَّرعٍ منا ومترسِ

ما بالُ دنياكَ ترضى أن تدنسهُ *** وثوبك الدهرَ مغسولٌ من الدنسِ؟

ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ مسالكَها *** إِن السفينةَ لا تجري على اليَبَس

ومع أنَّ طبيعة الموت أنه يأتي بغتة، ولا يُفرَّقُ بين أحد؛ فإنه مع ذلك له رسل يرسلها قبل مجيئه، فقد ورد في بعض الأخبار أن نبياً من الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت: أما لك رسول تقدمه بين يديك، ليكون الناس على حذر منك؟ قال: نعم، لي والله رسل كثيرة: من الإعلال، والأمراض، والشيب، والهموم، وتغير السمع والبصر. وفي صحيح البخاري عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة))[5]. وأعظم الأعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم، كما قال سبحانه: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}[الإسراء: 15]. وقال تعالى: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}[النساء: 165]. وقال سبحانه: {وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ}[فاطر: 37]. قيل: هو القرآن، وقيل: الرسل، وقال ابن عباس: هو الشيب.

وفي الإكثار من ذكر الموت فوائد عدة، منها: أنه ما ذكر في قليل إلا كثَّره، ولا في كثير إلا وسَّعه. وقال الدقاق: "من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة"[6].

وفي الأخير أقول إن لم تذكر الموت، وتتعظ به، ولم ينفعك وعظ، فموتك خير من حياتك، قال الشاعر:

فما لك ليس يعمل فيك وعظ *** ولا زجر كأنك من جماد

ستندم إن رحلت بغير زاد * وتشقى إذ يناديك المنادي**

فلا تأمن لذي الدنيا صلاحا * فإن صلاحها عين الفساد**

ولا تفرح بمال تقتنيه * فإنك فيه معكوس المراد**

وتب مما جنيت وأنت حي * وكن متنبها قبل الرقاد**

أترضى أن تكون رفيق قوم * لهم زاد وأنت بغير زاد؟!**

اللهم تجاوز عن زلاتنا، واغفر خطيئاتنا، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

---

1 التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (1/ 7).
2 أخرجه أبو نعيم في الحلية (6/355).
3 رواه البيهقي في الشعب (826)، وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب (3334).
4 التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (1/6).
5 رواه البخاري (6056).
6 شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: 27).